الباب الأول

مدخل لدراسة النصرانية والحروب الصليبية وواقع العالم الإسلامي

يحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول كما يلي:

- الفصل الأول: مفهوم النصرانية
- الفصل الثاني: الحروب الصليبية
- الفصل الثالث: واقع العالم الإسلامي في عصر الحروب الصليبية

الفصل الأول

مفهوم النصرانية

نسبة لأن الدراسة عنوانها: التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية، وهي مؤسسات قادمة من الغرب النصراني إلى الشرق الإسلامي ومن ضمن وأهم أهداف هذه المؤسسات نشر الديانة النصرانية، حتى الحروب الصليبية كان أكبر أهدافها ديني، ومعروف أن الصليبية ذات صلة بالنصرانية، لذا كان لابد للباحث أن يتعرض لمفهوم النصرانية كديانة ويستعرض أطوار هذه الديانة التي كانت ولا تزال وراء حركات التنصير والاستشراق والإستعمار، ولاسيما وأن الحروب الصليبية في القديم والحديث تلك الحروب التي قادها الغرب النصراني لغرس الصليب في بلاد المسلمين كما صرح بذلك قادتهم لا تزال هذه الحروب قائمة ومشاهدة كان لابد للباحث أن يعرف بمفهوم النصرانية والمراحل التي مرت بها حتى اتخذت الصليب لها شعاراً، وقد كان الصليب يحمله النصارى على كتوفهم عندما شنوا الحرب على العالم الإسلامي في القرن الحادي عشر الميلادي.

الديانة النصرانية هي الدين الذي نزل على سيدنا عيسى عليه السلام والنصرانية تفصيلاً الديانة المسيحية التي أنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل داعية إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي والنفسي، ولكنها سرعان ما فقدت أصولها مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها حيث ابتعدت كثيراً عن صورتها

السماوية الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية[١].

لقد جاء بهذه الرسالة النصرانية عيسى عليه السلام الذي ولد في بيت لحم من أمه مريم وذلك من غير أب، إذ نفخ الله فيها من روحه فكان ميلاده حدثاً عجيباً على هذا النحو ليلقي بذلك درساً على بني إسرائيل الذي غرقوا في الماديات وفي ربط الأسباب بالمسببات بعث عيسى عليه السلام نبياً إلى بني إسرائيل مؤيداً من الله بعدد من المعجزات الدالة على نبوته نذكر منها:

١- أنه كان يخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله.
٢- وكان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.
٣- وكان يحيي الموتى بإذن الله.
٤- وكان يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم بإذن الله
٥- وقد أيده الله بمائدة من السماء أنزلها عليهم لتكون عيداً لأولهم وآخرهم.
٦- غضب اليهود عليه فأغروا به الحاكم الروماني الذي تجاهلهم أولاً ثم كذبوا عليه وتقولوا مما جعله يصدر أمراً بالقبض عليه وإصدار حكم الإعدام ضده.
٧- ألقى الله شبه على صورته على رجل من أصحابه يقال له (يهوذا الأسخربوطي) فنفذ الحكم فيه، أما عيسى فقد توفاه الله بعد ذلك ورفعه إليه[٢].

والنصرانية في الأصل نسبة إلى نصرانية وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الخليل وتسمى هذه البلدة ناصرة ونصورية، والنصرانية والنصرانة كذلك واحدة النصارى.

أما في الاصطلاح، فالنصرانية من النصارى وهم المنتسبون للإنجيل، ولا أعرف على التحديد متى صارت النصرانية علماً على دين أهل الإنجيل وقد وجدت هذه اللفظة بهذا المعنى في أوائل القرن الثاني الميلادي، إذ كتب بلين، وكان والياً على آسيا إلى إمبراطور (تراجان) الموجود عام ١٠٦م كتاباً يشرح فيه طريقة

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الطبعة الثانية، الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٨٩م، ص٤٩٩.
(٢) المرجع نفسه ص٥٠٠.

تعذيبه للمسيحيين فقال: جربت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية:

وهي أنهم سألتهم إذا كانوا مسيحيين فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً بالقتل فإذا أصروا أنفذ عقوبة الإعدام فيهم ثم يقول بلين: وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تزيل بأسماء أصحابها فأنكروا أنهم نصارى وقد يفهم من القرآن أنهم أحدثوا هذا الاسم إذ يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ [المائدة: ١٤] أما المسيحية فهي كذلك تطلق على أتباع المسيح عليه السلام على أنه لا ينبغي إطلاقها الآن على النصارى لأن هؤلاء في الواقع لا ينتسبون للمسيح عليه السلام، ولذلك لم نجد في كتاب الله تعالى ولا سنة رسول الله ﷺ تسميتهم مسيحيين وقد أطلق عليهم القرآن أنهم نصارى كما ساهم أهل الكتاب وأهل الإنجيل، ونجد النصارى في الجملة[1] ينقسمون إلى ثلاث طوائف كبار:

١- الكاثوليك

٢- الأرثوذكس

٣- البروتستانت

هذه الطوائف كلها متفقة على القول بألوهية المسيح ابن مريم وعلى القول بالتثليث وعلى القول بالصليب فهم جميعاً يعتقدون أن الله أمر آدم ألا يأكل من الشجرة فأكل منها بإغواء إبليس فاستحق وذريته الفناء ولكن الله رحم عباده فجسد كلمته وهي ابنه الأزلي مجسداً ظاهراً فأرسله الله ملاكه إلى مريم العذراء وبشرها بالمسيح المخلص وأنها تلد الكلمة الأزلية وتصير والدة الإله وأنه رضي بموته على الصليب وهو غير مستحق لذلك ليكون فداء الخطيئة الأولى.

غير أن هذه الطواف تختلف عن بعضها البعض في الفروع[2] لابد أن يلقي الباحث تفصيلاً على الفرق الثلاثة متقدمة الذكر وهي جملة الفرق التي ينتمي لها النصارى.

---

(١) عبد القادر شبية الحمد - الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - بدون طبعة (المدينة: مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ) ص٣٠-٣١.

(٢) المرجع نفسه ص٥٣-٥٤

أولاً: الكاثوليك:

هم أتباع الكنيسة الكاثوليكية العامة وإنما سميت بذلك لإدعائهم أنها أم الكنائس ومعلمتهم وأنها وحدها هي التي تنشر النصرانية في العالم، وتسمى الكنيسة الغربية أو اللاتينية لأنها غلبت على الغرب اللاتيني خاصة فصارت لها السيطرة في إيطاليا وبلجيكيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وقد تشمل غيرها من البلدان. كما تسمى كذلك الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها هو بطرس الرسول كبير الحوارين والرئيس العام للكنائس الكاثوليكية وهو بابا روما ومن أهم ما ميز به الكاثوليك أنهما اعتقدوا أن روح القدس نشأ من الله الأب ومن الابن معاً، كما أنهم يعتقدون بالمساواة الكاملة بين الله والأب والله الابن تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقد أباح الكاثوليك أكل الدم والمخنوق وأباحوا للرهبان أكل دهن الخنزير.

ثانياً: الأرثوذكس:

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية كروسيا والبلغان واليونان وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وكانت في الأصل تابعة للكنيسة الكاثوليكية ثم انفصلت عام ١٠٥٤م وأهم ما تتميز به هذه الكنيسة أن أتباعها يعتقدون أن الإله الأب أفضل من الإله الابن وليس للكنائس الأرثوذكسية رئيس عام بل كل كنيسة تعتبر مستقلة عن الأخرى وأن اتفقت جميعاً في المعتقدات[١].

ثالثاً: البروتستانت:

هم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ومعنى البروتستانت المحتجين وتسمى كنيستهم الإنجيلية لدعواهم أنهم إنما يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم دون حاجة إلى البابوات وينتشر هذا المذهب

(١) المرجع نفسه، ص٥٥.

في ألمانيا وإنجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية، غير أن الإنجليز لا يزالون يطلقون على كنائسهم: الكنيسة الكاثوليكية.

ويطلقون على الكنائس الأصلية اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ومن أهم ما تميز به البروتستانت أنهم جعلوا الإنجيل هو المصدر الوحيد للنصرانية وأنهم يرون أن ليس للكنيسة حق غفران الذنوب ولا يرون ضرورة للرهبنة، كما أباحوا الزواج لرجال الدين، ويحرمون اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس للسجود لها مستدلين بأن هذا عمل وثني وليس لكنائس البروتستانت رئيس عام فهم في هذه الناحية كالأرثوذكس(١).

هذا التفرق الذي أصاب النصرانية لم يعرفه المسيح عندما جاء بدعوته كانت دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد الخالص كدعوة سائر الرسل والأنبياء والحواريون والتلاميذ الذين رفع عنهم المسيح كلهم كانوا على ذلك الدين وذلك التوحيد، إلى أن دخل بولس الرسول في المسيحية وكان قبل ذلك من اليهود الغربيين المتعصبين على النصرانية، وكان قد ولد في طرطوس وتربى في أورشلين واسمه الأصلي شاؤل(٢).

ومن عقائد النصارى الصلب، والمسيح في نظرهم مات مصلوباً فداء عن الخليقة ذلك أن الله لشدة حبه للبشر من ناحية ولعدالته من ناحية أخرى فقد أرسل وحيده ليخلص العالم من خطيئة آدم حينما أكل من الشجرة المحرمة، وأن عيسى قد صلب عن رضى تام فتقلب بذلك على الخطيئة وأنه دفن بعد صلبه وأنه أقام بعد ثلاثة أيام متقلباً على الموت ثم ارتفع إلى السماء. فهم يقدسون الصليب ويعتبرونه شعاراً لهم، وهو موضع تقديس لهم وموضع تقديس لكثيرين، وحملة علامة على أنهم أتباع المسيح(٣).

---

(١) المرجع نفسه ص٥٧.

(٢) محمد عبد الرحمن الأعظمي، اليهودية والمسيحية، الطبعة الأولى (المدينة: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ١٩٨٨م) ص٢٩٣.

(٣) المرجع نفسه ص٥٤.

وقضية الصلب والصليب هذه كعقيدة لديهم جاءت في القرآن وفي ذلك بعض الآيات:

نستعرض هذه الآيات وتفسيرها من كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب: قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

والقرآن يقرر قراره الفصل في مسألة الصلب ولا يدلي القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة؟ أم كان بالروح بعد الوفاة؟ ومتى كانت هذه الوفاة وأين؟ وهم ما قتلوه وما صلبوه وإنما وقت القتل والصلب على من شبه لهم سواه ولا يدل القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة، إلا ما ورد في السورة الأخرى من قوله تعالى ﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] وهذه كتلك لا تعطي تفصيلاً عن الوفاة ولا عن طبيعة هذا المتوفى وموعده ونحن على طريقتنا في ظلال القرآن لا نريد أن نخرج عن تلك الظلال ولا نضرب في أقاويل وأساطير ليس لدينا من دليل عليها وليس لنا إليها سبيل[1].

نحن المسلمون نثق في كل ما جاء عن عيسى عليه السلام في القرآن وهو المصدر الوحيد الموثوق به من الكتب السماوية وقد اعترف بهذه الحقيقة العلماء على مدى التاريخ.

لقد كان في العصور النصرانية الأولى فرق من النصارى تقر بالتوحيد وأن عيسى بن مريم عليه السلام مجرد بشر رسول وبدأت هذه العقيدة السليمة منذ بعثة عيسى عليه السلام، وظلت هكذا حتى انعقاد مجمع نيقة عام ٣٢٥م، ولم تمض عشر سنوات على ذهاب عيسى عليه السلام حتى أخذت مظاهر الخرافات والزيغ والانحراف تتسرب إلى عقيدة بعض الفرق النصرانية، ولهذا كان انعقاد مؤتمر نيقة عام ٣٢٥م ونتائجه كما يلي:

---

(١) سيد قطب - في ظلال القرآن - المجلد الثاني - الطبعة الرابعة - بيروت - دار الشروق - ١٩٧٧م، ص٨٠٢.

أ - ألوهية المسيح وعقيدة التثليث.
ب- تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان
ج- تكفير آريوس وحرمانه وطرده
د- عدم الاعتراف بجميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح أو تحريم قراءتها وإحراقها.

والآن كل الكنائس تقول بعقيدة التثليث وهي عقيدة باطلة، وقد كان هذا المؤتمر تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين(١).

وللنصرانية كتب ومراجع تسمى الأناجيل مفردها إنجيل والإنجيل كلمة معربة من اليونانية معناها البشارة بالخير أو الخبر السار الحسن المفرح، وذلك لأن عيسى بشر بمحمد ﷺ وقد وردت كلمة إنجيل في القرآن ١٢ مرة وبعد رفع المسيح وضياع الإنجيل الرباني المنزل عليه كتبت أناجيل كثيرة وزادت على المائة فاختارت الكنيسة منها أربعة أناجيل هي المقصودة بكلمة إنجيل عند المسيحيين الآن وهي إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا، وإنجيل برنابا وتطلق كلمة إنجيل مجازاً على العهد الجديد المشتمل على الأناجيل الأربعة وعلى الرسائل الملحقة بها، ويطلق المسيحيون الآن على مجموع العهدين القديم والجديد اسم الكتاب المقدس، والإنجيل ليس فيه تشريعات وأحكام لأن عيسى عليه السلام كان يعمل بشريعة التوراة(٢).

الأناجيل وتسمى الأسفار التاريخية لأنها تعني بشرح الظروف التاريخية لحياة المسيح عليه السلام والأناجيل المحترمة عند المسيحيين أربعة هي:

أ - إنجيل متى
ب- إنجيل مرقس

---

(١) علاء أبو بكر - المسيحية الحقة كما جاءها بها المسيح - الطبعة الأولى - القاهرة، مكتبة وهبه - ١٩٩٧م، ص١٣١-١٣٣.

(٢) رحمة الله الهندي - إظهار الحق - الطبعة الأولى، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠هـ، الجزء الأول ص١٠٣

ج- إنجيل لوقا

د- إنجيل برنابا

وهذه الأناجيل الأربعة التي اعترفت بها الكنائس المسيحية في القرن الثالث بعد المسيح عليه السلام دون غيرها، وهي التي تم إثباتها من قبل إعلانها في المجمع الأول مجمع نيقة هذه الأناجيل الأربعة واجب التسليم بها ثم كان مجمع نيقة عام ٣٢٥م فارتقى بالأناجيل إلى درجة وجوب تقديسها دون غيرها وبذلك قد تجاهلت الكنيسة الأناجيل الكثيرة التي أجمع على كثرتها مؤرخو المسيحية أنفسهم(١).

هذه الأناجيل الأربعة هي المصدر الأول التاريخي للديانة المسيحية، يلاحظ عليها وفيها عند البحث ما يلي:

١- إنها ليست من إملاء المسيح بل أن السيد المسيح لم يشهدها.

٢- كاتبوها ليس على مستوى الأهلية ليكونوا علماء دين لأنهم مجهولو النسب أو الصفة أو العلاقة بالكتاب المدون.

٣- إنها لرغبات خاصة أملتها عدة بيئات مختلفة عدة بيئات مختلفة وهذه الرغبات الخاصة مجهولة الأفراد والهيئات.

٤- إن أصولها معترف بضياعها وأن ترجمة بعضها غير موثوق فيها لضياع الأصل أو لجهل المترجم.

٥- إنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب أن تتوفر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي(٢).

والنصرانية بالمفاهيم التي تقدم ذكرها تنتشر اليوم في معظم بقاع العالم، وقد أعانها على ذلك الإستعمار والتنصير الذي تدعمه مؤسسات ضخمة عالمية ذات إمكانيات هائلة(٣).

---

(١) متولي شلبي - أضواء على المسيحية - الطبعة الثانية (الكويت: الدار الكويتية، ١٩٧٣م) ص٣٧ - ٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ص٥٠-٥١.

(٣) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة - مرجع سابق ص٥٠٧.

هذه باختصار نبذة عن النصرانية تضمنت أهم ملامح هذه الديانة التي كانت في أولها ديانة توحيد ككل الديانات ولكن دخل عليها التحريف كما هو واضح. هذه الديانة هي الفكرة التي تدفع بالتنصير والاستشراق والإستعمار نحو العالم الإسلامي وأفكار هذه المؤسسات تتطابق فكرياً وتشترك في التطبيق العملي. كل هذا يتضح للقارئ من خلال هذا البحث بعنوان: التنصير والاستشراق والإستعمار والصهيونية تطابق فكري وتطبيق عملي، ركزت في الدراسة على آثار هذه المؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية على العالم الإسلامي. ويرى الباحث أن هذه الدراسة بالأهمية لما تحمله من توضيح وتشريح لمؤسسات كانت ولا تزال تعمل عمل السوس في الجسم الإسلامي.